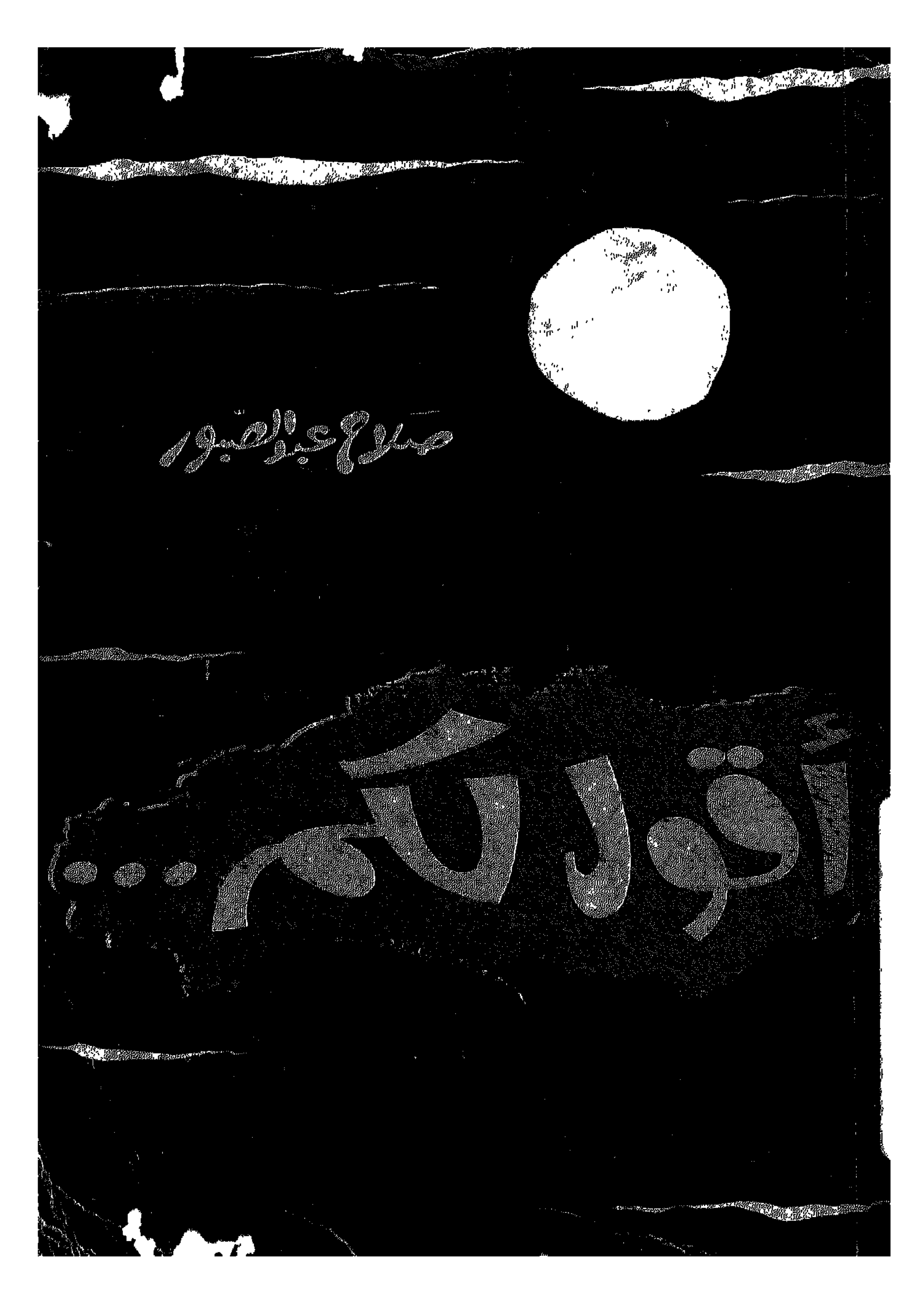
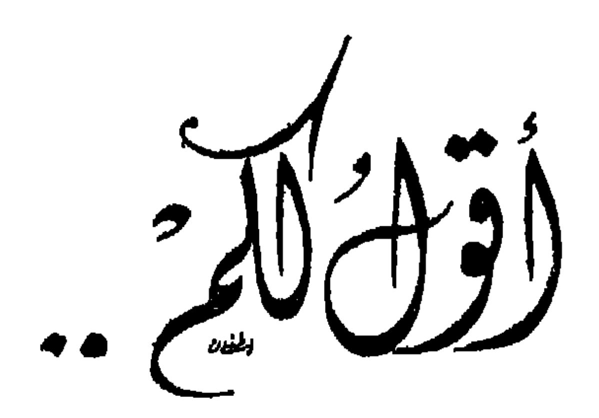

صلاح عبد الصبور
أقول لكم...

أقول لكم ...

صلاح عبد الصبور



منشورات

المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر

الطبعة الاولى

آذار (مارس) ١٩٦١

الشيء الحزين

هناكَ شيءٌ في نفوسِنا حزينْ

قدْ يختفي ... ولا يبينْ

لكنه مكنون

شيءٌ غريبٌ .. غامضٌ .. حنون

***

لعلّه التذكارْ

تذكارَ يوم تافهٍ .. بلا قرار

أو ليلةٍ قدْ ضمَّها النسيانُ في إزار

« لو غُصتَ في دفائن البحار

لجمَّعت كفاك من محارها ...

تذكار »

لعلّه النَدَم

فأنتَ لوْ دفنْتَ جثّةً بأرْض

لأوْرقت جذورُها وأينعتْ ثمار

ثقيلةَ القدم

لعلّهُ الأسى

الليلُ حينما ارتمى على شوارعِ المدينهْ

وأغرق الشطآنَ بالسكينهْ

تهدّمت معابرُ السرورِ والجلد

لا شيءَ يوَقِفُ الأَساةَ ... لا أحدْ

***

يستيقظُ الشيءُ الحزينُ في أواخر المساءْ

يمورُ في الأطراف والأعضاءْ

ويُثقِلُ العينينِ والنبرةَ والإيماء

لكنَّهُ حنُون

يضمُّنا في خدرٍ مستسلمٍ مأمونْ

أصابعٌ حسّاسةٌ لا تخدشُ الجفون

أنفاسه تندَى بلا لزوجةٍ على الجباهِ والترائب

وتوقظُ الشهوةَ والأحلامَ والآمالَ والغرائبْ

***

لا تسألْ الشيءَ الحزينَ أن يمر كل يومْ

على مَرافىءِ العُيون

لا تَسْأل الشيءَ الحزينَ أَنْ يبينَ ... أنْ يبينْ

لأنه مكنونْ

لا تسأل الشيءَ الحزينَ أن يَقَر

لانهُ كطائِر البحار ... لا مَقر

وَقل لهُ :

إذا أهَّل في المدَى ونقَّر البياضَ في عينيكْ

وغيَّم المكانُ بالدُمُوع مثلَ حُلمْ ...

لَقَدْ مَلكتَني ... فتَحتُ لك

صُنْدُوق قلبي الكَليم

فلتَقْطُرُ الدُمُوعُ ... كالنغمْ

***

لو كانَ للإنسانِ أنْ يَعيشَ لحظةَ العذاب ...

مرتـــين ..

بكلِ عُمْقِها الكئيبِ الساذَج المقرورْ

ان يَلِدَ الآهَة ... مَرَتَيْنْ

خالصةً ... بلا سرور

وأنْ يَحُسَّ ذلك الشيء الحزين جِسْتَيَن

لكيْ يرَى فَجَاءَتَهْ

ويَسْتَبينَ وَجْهَهُ ومِشْيَتَه

لوْ اتكأتْ أيها الشيءُ الحزينُ مرةً على مرافيء الشُعُون

لوْ رَكِبُكَ المسافرونَ ...

... ينزلونْ

موت فلّاح

لم يكُ يوماً مثلنا يستعجلُ الموتا

لأنهُ كلَّ صباحٍ ، كان يصنعُ الحياةَ في التُراب

ولم يكُنْ كدأبنا ، يلغطُ بالفلسفةِ الميّته

لأنّهُ لا يجدُ الوقتا

فلمْ يمِل للشمسِ رأسهُ الثقيلَ بالعذاب

والصخرةُ السمراءُ ظلّتْ بينَ منكبيهِ ثابته

كانتْ لهُ عمامةٌ عريضةٌ تعلوهْ

وقامةٌ مديدةٌ كأنّها وثن

وِلحيةٌ ، المِلحُ والفُلفُلُ ، لوَّناها
وَوَجهُهُ مثلُ أديمِ الأرضِ مَجدورُ
لكِنَّهُ ، والموتُ مَقدورُ
قضَى ، ظُهيرَةَ النهار ، والتُرابُ في يَدِه
والماءُ يَجري بينَ أقدامِه
وَعندَما جاءَ مَلاكُ الموتِ يَدعوهُ
لوّنَ بالدّهشةِ عَيناً وَفما
وَمدَّ للأمامِ ساعداً ، وَجرَّ في عَياءٍ قَدَما
واستَغفَرَ اللّـــهَ
ثم ارتمى
والفأسُ والدُرَّةُ في جانبِهِ تكَوّما
وَجاءَ أهلُهُ ، وأسبَلوا جفُونَه

وكَفَّنُوا جُثْمانَهُ ، وقَبَّلوا جَبِينَه
وغَيَّبُوهُ في التُّرَابِ ، في مُنْخَفَضِ الرِمَال
وحَدَّقُوا إلى الحقولِ في سكينهَ
وأرسلوا تنهيدةً قصيرةً ... قصيره
ثُمَّ مَضَوا لِرحْلَةٍ يَخُوضُها بقَرْيَتي الصَّغِيرهْ
مِنْ أوَّلِ الدَهْرِ الرِجَال
مِنْ أوَّلِ الزَّمانِ ...
حَتَى الموتِ في الظهيرهْ

كلمات لا تعرف السعادة

مَا يُولَدُ في الظُلُمَاتِ يُفَاجِئُه النورُ

فيُعرِّيه

لا يَحْيَا حُبٌّ غوّارٌ في بَطْنِ الشّكِ أو التمْوِيه

لا يقْتَاتُ الإنسَانُ فَمَ الجُرْحِ الصدَيان ... ويلتذُّ

لا تُوضَعُ كَفٌّ في نارٍ ، لا تهْتز .

أشبَاحُ الماضِي بِئْسَ الرُؤْيَا حِينَ تُجَهْنِمُها .. الغَيْرة

فإذا لاقَى قلبَانِ ثقيلانِ الدُنْيَا

ظنَّا ما مَاتَ يُكَفَّنُ في الكلِمَاتِ الحُلوة

في الألـفـاظِ البيض الجلـُوَّه
في العَهْـدِ المـُسْبَلِ فَوْقَ الأمْسِ
...ودُونَ السَيوْم ، وحَوْلَ الذِكـرى
وَهمَا قالا للنسْيَان
يَا نِسْيَانْ ،
اجْمَع ذِكْرَانـَا واقْذِفْهَا في البَحرْ
يا نِسْيَانُ، اجْعَل مَاضِينَا مِنْ أصْدَافٍ، مُسْتقبلـَنا من تِبر
فهما قلْبَان ، وإنْ فَرِحَا بالعُمْرِ ، شَقيَّان

عِشْنَا ، عِشْنَا ،
في مَضْجَعِنَا، مِمَّا عِشْنَاهُ نخبّي جزْءًا، نكْشِفُ جزْءًا
لوْ أفْلَت حلْقانا، لوْ قلْنَا مِمَّا خبّأنا شَيْئًا
لتَفرّقنَا ، لتَفرّق قلْبَانا ، وصرخْنَا ... نأيا .. نأيا



لتَبَدَّتْ في عَينَينَا رُؤْيَا
أَشْبَاحُ المَاضِي حِينَ تُجَهْنِمُهَا الغَيْره

***

لوْ كُنَّا نَمْلكُ شَيئاً غيرَ الحبِّ لبَعْثرْنَاه
فوْقَ رُؤوس الأحبَاب
لوْ قَلَبْنَا مِنْ ذَهبٍ مكنوزٍ خَلفَ جِدار
لكَشَفْنَاهْ
وملأنا راحاتِ الأحباب
لوْ قلبْنَا زادٌ مِنْ تمرٍ ومَعينٍ أوْقدنا النارْ
وجَمَعْنا الأحباب
لوْ كُنَّا نعرفُ أنْ نفْرحَ فرحةَ طِفْلٍ غُفْلِ القلْب

عَرَفَ الدُّنيا حُباً ينمو في ظَلَّةِ حُبّ
لأذبْنا الفرحة في أكوابِ الأحباب
لكنّا حين ضحكْنا أمسُ مساءْ
رنّتْ في ذَيْل الضحكاتْ
نبراتُ بكاء
واتكأتْ في عينيّ دميْعاتْ
أغفتْ زَمناً في استحياء
كانتْ عيْناكِ تقولانِ لقلبي ولعينيْه
الجرْحُ هنا ، لكنّي أخْفيه
وأداريه
لكنْ ما يُولَدُ في الظلُمات يفاجئُه النور
فيعرّيه

لوْ كُنَّا نَمْلِكُ أنْ نتَمَنَّى .. ثُمْ نُجابْ
ونعُودْ لنُولَدَ ثانيةً ... أحْبابْ
نلقَى الحبَّ جديداً غضًّا
لمْ يعْرِفْ قلبانا مِنْ قبْل لِقانا خفْقَا
لمْ تلمَسْ كفٌّ ساخِنَةٌ شفةً مِنا أوْ عِرْقا
لوْ كُنَّا نملِكُ أنْ نحْيا في قُمصان الغيْب المسدلة الأكام . . .
حتى تُدْنينا الأيَّام
لوْ كُنَّا نمْلِكُ ما خطَرَتْ في عيْنَيْنا رُؤْيا
أشْباحُ الماضي حين تُجهِنمُها الغيْره
لو كُنَّا نمْلِكُ ما ناشَدْنا النسيانْ

الألفاظ

فليَعبثْ حلقُك بالألفاظِ ، فإنَّ الألفاظَ (هواءْ)
مَنْ يمسكُه أو يُمسكُها .. تلكَ الألفاظُ الجوفاءْ
لكنْ هذي الألفاظُ تهبُّ هبوب الريحِ على وجهي
انا تُدفيني الألفاظُ الحرّى
وتُقَفقِفُني الألفاظُ الباردةُ الرعناءْ
لفظٌ حالِمْ
قد يُولد في ليلٍ ناعم
في حضنِ النيلِ الباسم

لفظٌ مصمَتْ

وأكادُ أصيحُ بقائِلِه ... اصمتْ

فالجرحُ تُدَغدِغُه الألفاظ

لفظٌ قاتِل

لفظٌ ذو ألفِ يدٍ تلتَفُّ على عنقي .

ذُو ألفِ لسانٍ تنفثُ سمّا

أو لفظٌ يُرْديني ... لا قطرةُ دمْ

والسكينُ الألفاظُ تشق اللحم

وأظلُ أسائِلُ : ماذا تعني في خاطِرِك الألفاظ

ألفاظٌ قاتلةٌ في رفقٍ .. خالصةُ الكفين من الدَم

أشياءٌ تافهةٌ هِيَ عِنْدَكِ ... ألفاظ !

كُفّي ، كُفّي . . إن الألفاظَ ثِمَارُ الأشجار

أبهَى ما تحمِلُ من نوّار

وكمَا أنّ الشَجَرَ الطيِّبْ

يَعطِي ثمَراً طيِّبْ

فالإنسَانُ الطيِّبْ

لا يَنْطِقُ إلاّ اللفظ الطيب

يا سيدَتي ، يا نبتَ الصَحرَاءِ الجرْداء

فلتَقتَصِدِي ، فلتَقتَصِدي في الألفاظْ

الألفاظِ الجوفاءْ

أغنية خضراء

فيروزة
يا خضراءَ العينين
يا حُبّي ...!!
لِمَ لا ترضين ؟
وكأنّ علينا قد خُطّت أقدارُ
وكأنّ الغربةَ ميقاتٌ لا بد نؤدّيه
أنْ نضربَ أعواماً في التيه
أنْ نعبدَ أصناماً مكذوبه



وَنجَدِّفَ بالقلبَيْنِ ، وقد خاضَا للحُب

صَحرَاءَ الشوقِ ... رَهيبه

يا فيروزه

في ظِلِّ الليلِ نَثَرْتُ العُمرَ نِثارا

أياماً جائعةً .. دارا

وليالِيَ مُثقَلةً أوْزارا

أوْ أفكارا

وصُباباتٍ من كأس الحب ، جَرَعْتُ على غُصّه

كم من شَفةٍ حمراءِ الظِلِ

سوداءِ القلبِ .. على غِلْ

او عَينٍ تبحثُ في روحي عن سِرّي

عن كنزٍ غافٍ في صدري

لتبعثره أخبارا

او تُحرِقَهُ ناراً تتدفّا

في شُعْلتِها أيامٌ باردةٌ جوفا

أنا مَصْلوبٌ ، والحبُّ صَليبي

وحمَلْتُ عن الناسِ الأحزانْ

في حُبِّ إلهٍ مَكذوبِ

لَمْ يَسْلمْ لي من سعْيي الخاسِر الا الشعرْ

كلماتُ الشعر

عاشَتْ لتُهدْهِدَني

لأفرّ اليها من صَخَب الأيّام المُضْني

إن تجْفُ فجفوتهُ إدلالٍ لا إذلال

أو تحْنُ... فيا فرحي غرّدْ ! يا نِعمة ايّامي عُودي

يا فيروزه !

يا أصحابي ! يا أحبابي

حيوا مَوْلايَ الشعرْ

سَلِمَتْ لِي – مِنْ عُقبى أيّامي – الكلمات

* * *

وَفدَا في لَيْلة صَيْفْ

وَلجَا من بابِ القلبِ كما يَلجُ الضيْف

كانا بسّامَيْنْ

صَنعَا إيماءَةَ نُبْل

قالا للقلبِ : سعدتَ مساءً يا قلبْ

وتقدّمَ هذا المحبوبُ... الحبُّ

وَرَمى في قلبي فيروزه

خضراءَ بلونِ الآمالْ

وأشارَ .. وقالْ

قمْ يا شادي ! غرّد .. باركْ للحب

كرّس هذا الأمسَ العذْب

وتقدّمَ هذا المحبوبُ ... الشعر

وبإصبعِهِ فكّ الختمَ وأفشى السر

أنشأتُ أغرّدُ في صوتٍ بالدمعة رطب

لليل ، وللفجرِ الغافي بالباب

ولأصحابي

للعينينِ الخضراوين

الملكين

خرجا من داري معتَنِقَين سعيدين

فِي الليلِ دَعوْتُ بقلبٍ مكروبْ
فليَشْمَلْني ظلُّ العَينينْ الخضْراوين
ولتخضَرَّ الكلماتُ برُوحي
ولترْقدْ ليلاتي في بحرِ السعدِ الأخضَرْ
ولتُورقْ خضراءَ الأَصباح
خضراءَ بلون الفيروزه

***

يا فيروزه
إني ألقيتُ الحِمْلَ على البابِ الأخضرْ
وشفيعايَ الملَكانِ المحبُوبان

لكنَّ البابَ يَصُدّ صدوداً مرْ
وأظلُّ على الاعتَابِ طريحاً مجرُوحاً
يا حبّي ..
الدَرْبُ مضلّهْ
والطَرْقُ على الابواب مذلّه
يا حُبّي
فلتفتحْ لي الابوابُ ، فَقَدْ أقصاني الحُجّاب
ومكاني لمْ يملأه غَيْري إنسان
يا حُبّي ...
فلتُفْتَحْ لي الابوابُ ، أنا الشادي الفارِس
أشعاري وَرْدُ البُسْتان
سمَرُ الركبانِ على الوِدْيان

وأنا – مِنْ فتيانِ القَرْيَه

أوْفاهُمْ في الحُبّ

وشجاعَةُ قَلْبي مَرْوِيّة

يا حُبّي ، فلتَفْتَحْ لي الابوابْ ...

إنّي أخْشى هذا الليْل

يَتَحَدَّرُ مِنْ خَلْفِ الأفُق النائي كالسَيْل

يا حُبّي ، قولي للحُجّاب

فلتُفْتَحْ لي الأبوابُ ، أنا الشادي الانسانْ ...

قالت

قالَتْ : لا يُولَدُ إنسانانِ على قَدَرٍ إلاّ التقَيا

فمتى ألقاه

أيامي مُوحِشَةٌ ، ولياليَّ تُؤانِسُها الآه

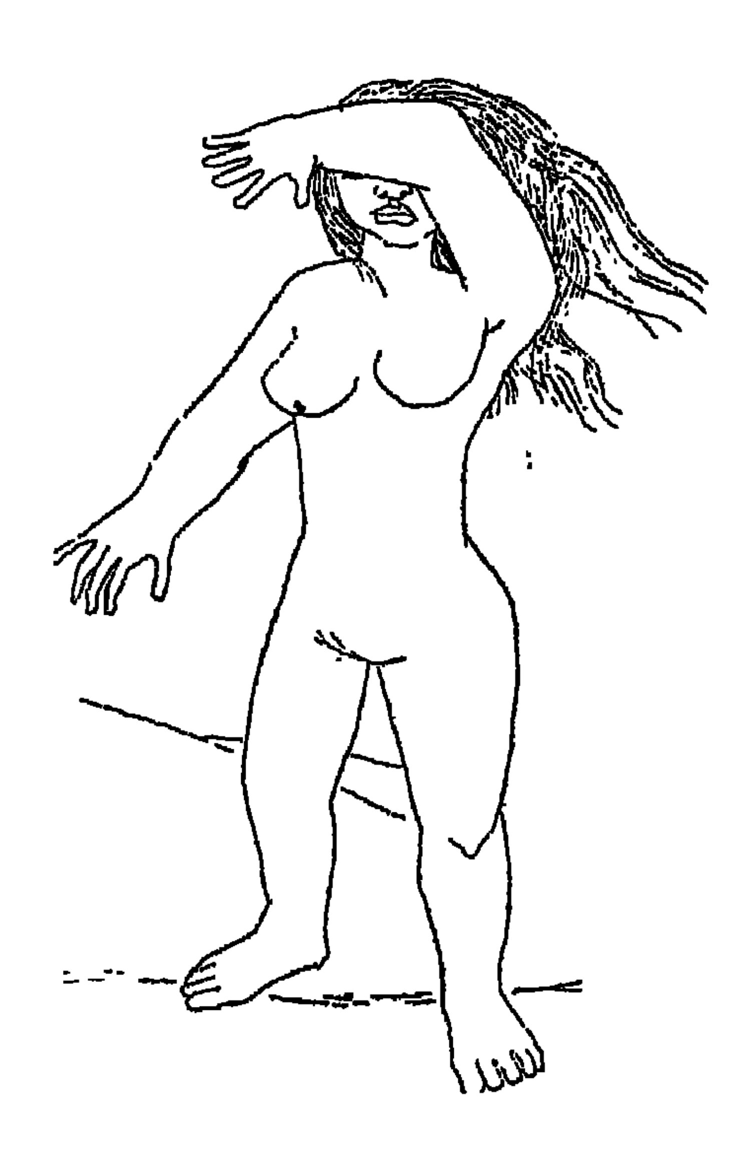
قالَت : إني أنظُر في أحداقِ الناسِ ، وفي شَفَتَيْهِم

أَتَمَلاّه

وَوَجَدْتهمو أغْراباً عن رُوحي ، وأُخو الروحِ بعيدٌ ..

ما أقْساه

قالَتْ : في ذاتِ مَساءٍ سَوْفَ يُهِلُّ على دنيايَ ..



أنا دُنيَاه

سَيَمُدُّ إليّ يدَيْهِ ، ويُناديني ، وسأعرِفُهُ .

وسأخطُرُ في يُمْنَاه

يا أُختي ، أنا قدْ أنفقْتُ الأيّامَ أُحاوِرُها وأُداجيها

وكأنّ الله

لِمْ تَنْسجْ كفّاهُ لقلبي قدَري الانسانَ .. الله

ينساني يا أُختاه .

هل كان حبًا

هل كانَ ما بينَنا

حبًّا .. وعِشناهُ

أمْ كانَ حلمًا عِندَما

أدْرَكنا الصُّبحُ نسَيْناه

أمْ أننا خِفْنا عَلى قلبينا

وفي ثرَى الخوفِ دفنّاهُ

لو عاشَ ... لو فتّحتْ للشمسِ عيناه

كُنّا رَعيناهُ

لَمّا تركناهُ

في مهمهٍ قاسٍ رميناهُ

في قلبهِ أنفاسُهُ تبكي..

أنّا هَجَرْناهُ

يا أيها الحبُّ الذي ماتا

لَوْ يَرْجِعُ اليومُ الذي فاتا

لو عادَ يومٌ منكَ ...

عشناهُ ...

أقول لكم..

١- "مَنْ أنا"

سأحكي حكمتي للناسِ ، للأصحاب ، للتاريخ ، إن أذنت
مسامعهُ الجليلةُ لي ، فإن طابَتْ وإنْ حسنَتَ
سيفرحُ قلبيَ المملوءُ بالحبّ ، يطيبُ القلب
إذا ما أغنفتْ الكلماتُ في الأسماعِ هانئةً
منداةً بعطرِ الحب
إذا ما صادفت كلماتُنا ، الشعراءَ ، شعراً في مسامعكمْ
إذا ما قالَ قائلكمْ
وراء الكلمْة المهموسة الترجيع قلبٌ عاش
وانسانٌ أحبّ ، ووجه غانية ، وكأسٌ مر
وحفنةُ بُرّ

وسعيٌ في فجاجِ الارضِ ، يا أصحاب
وأعلمُ انكم كرماء
وأنكمُ تحبونَ القريضَ وأهلَهُ الشُعراء
وأنكمُ ستغتفرون لي التقصيرَ عن سبقٍ الى تعبير
وعن تدويرِ ما يمتدُ في الدنيا الى كلمات
وعن بسطِ الذي يلتفُ في نفسي الى كلمات
وعن تنغيم هذا الزمن الموحش موسيقى
وعن وحشةِ موسيقى السماء بقلبي الموحش

وأعلمُ أنكمْ كرماء
وأنكمو ستغتفرون لي التقصير ... ما كنتُ أبا الطيب
ولم أُوهبْ كهذا الفارس العِملاقِ أن اقتنصَ المنى
ولستُ انا الحكيمَ رهين محبسه .. بلا أربِ

لأني لو قعدتُ بحبسيَّ لمتُّ من سغبِ

ولستُ أنا الأميرَ يعيشُ في قصرٍ بحضن النيل

يناغيه مغنيه

وملعقةٌ من الذهَبِ الصَريح تُطلُّ من فيهِ

ولكني تعذبتُ لكي أعرفَ معنى الحرف

ومعنى الحرف إذ يُجْمَعُ جنب الحرف

ولكني تعذبت لكي أحتال للمعنى

لكي أملكَ في حوزتي المعنى مع المبنى

لكي أسمعكمْ صوتيَ في مجتمع الأصوات

وقفتُ أمامكم ورفعتُ كفّي قائلا ... هيّا

هُنا انسانٌ ...

يُريدُ يُديرُ في فكّيهِ ألفاظاً يُدَحْرجُها الى الانسان

لتَصْنَعَ نِقْمَةً في القلب أو فرحا
تكون مِجَنّ من جُرحِ حا
ومسها في حشا القاسي الذي جرحا

وقفتُ امامكم بالسوق يا أهلي.. انا ابنكمو الذي من حجر نُقِرا
وأعلى فوقه البنّاء
بناءً زاهيَ الطلعه
مربعةً جوانبه ... ومطلياً بماء السعد
لِكيْ تأوى له أحلامكم ، والدفءُ ، والزوجاتُ ، والأبناء
شفيعي انتمُو للشيخ .. هذا الابَدِ المرهوب
لكي يَحْفظَ في واعية الايام إسماً ساذجاً للغاية
بجنب الفارس العملاق والشيخ الضرير وحامل الرايه ...

٢ - "الحُبّ"

لأنَّ الحبَّ مثلُ الشعرِ .. ميلادٌ بلا حسبان
لانَّ الحبَّ مثلُ الشعر ما باحت به الشفتان
بغير أوان
لأن الحبَّ قهارٌ كمثل الشعر
يرفرف في فضاءِ الكونِ ... لا تعنو له جبهه
وتعنو جبهة الإنسانْ
أحدثكمْ - بداية ما أحدثكمْ – عن الحبِ .

حديثُ الحب يوجعني ويُطربني ويشجيني
ولما كان خفقُ الحب في قلبي هو النجوى بلا صاحب
حملتُ الحب في قلبي .. فأوجعَني .. فأوجعني

ولما كان خفق الحب في قلبي هو الشكوى إلى الصاحب
شكوتُ الحبَّ للأصحابِ والدُنيا .. فأوجعني
ولما صارَ خفقُ الحب في قلبي هو السلوى
لأيامٍ بلا طعم وأشباحٍ بلا صورهْ .
وأمنيةٍ مجنحةٍ بجوف النفس مكسوره
حملتُ الحب للمحبوب ، ثم دنوت من قلبه
وقلت له ... أتيتكَ ... لا كبيرَ النفس ، لا تيَّاه
ولا في الكُمّ جوهرةٌ ، ولا في الصدر وُشِّحتْ
ولكنّيَ إنسان فقيرُ الجيب والفطنه
ومثلُ الناس ابحثُ عن طعامي في فجاجِ الأرض
وعن كوخٍ وإنسانٍ ليستر ما تعريتُ
وحين أدارَ لي وجهاً شريفَ اللمحِ والصوره

تغنيتُ ... تغنيتُ :

أغنيةً لقدّ محبوبي

أغنيةً لخده الأسيلْ

أغنية لشعره الذهبي

أغنية لوجهه الجميلْ

لكنني لست بموهوبِ

أنا فتى لا يعرف القليلْ

أنا فتى لا يملك القليلْ

وقالت لي لوجهيَ والهوى يا شاعري غنيتْ

فغن الآن أغنيةً ... لقلبك أنت

أسندت عودي إلى الضلوعْ

ورحت استقطرُ النغم

فأنَّ عودي على الضلوعْ

وغمغم الصمت وانبهم

لحنيَ ... فلتسعفِ الدموع

وضعتُ العود ثم صَنَعْتُ بالكلمات الحانا

بريئاتٍ كما في القلبْ

وقلت لها بأن الحب ما يصنع بالإنسانِ إنسانا

وأنّ الحبْ ...

عندما يصبحُ إنسان حقيقه

عندما يبحث في ظل العيون السود عن عينٍ صديقه

ويراها

عندما يحلم بالبيت ، وبالدفء ، على مخدع نظره

ويواري خوفه في متّكاها

عندما يحلم بالأطفال والنزهة في إصباح جمعة
عندما تمتزجُ في عينيه أشواقٌ ودمعة
عندما يُشرعُ إنسان لإنسان جناحه
ويناغيه دلالاً وسماحه
عندما يصبح ما فات من الأيام محواً
لم يكن حيناً حياة القلب
عندما يصبح كل اللفظ لغواً
غير لفظ الحب . . .

وغمغم الصوت وانبهم
الحنيّ . . . فلتسعف الدموع
وأغضتْ ، ثم قالت لي : لقد طابت بك الايامُ ..
مرحى بك
عرفتُ الآن أنك لي ، وأنّيَ لك

٣ـ «الحُرِّيَّةُ والمَوْتُ»

روووا يا صحبتي الاحرار فيما اسلفوا من قال

بان الطفل يولد مثل نَسْمِ الريح

وحين يدبُّ فوق الارض تثقل ساقه الاغلال

يُقَيِّدُهُ الى الدنيا ترابٌ شمه الاجداد

وغطوا أنفهم فيه

ويملك من فضاء الأرض ما تمتد ساقاه

وما يجني بيمناه

ويجهد ، ثم لا يستطيعُ ، أن يجتاز ماضيه

ولكني أقول لكم .. بأن القيد حريه

وأن النَّسْمَ مأسورٌ - ولا يدري - باطلاقه

وان الحرَّ من يمشي ثقيلاً فوق ظهر الارض

ويحفر بطن ساقيه على وجه الثرى الجدب

وينهض رغم ما ينداح في الاعراق والقلب

من الاحزانِ والاشواق والآمـــال والحب

وقيل لكم :

بأن حياتكمْ جسرٌ ، وأن بقاءَكم مسطورْ

خُطىً تُخطىَ بعيقاتٍ إلى دارٍ بباَبينِ

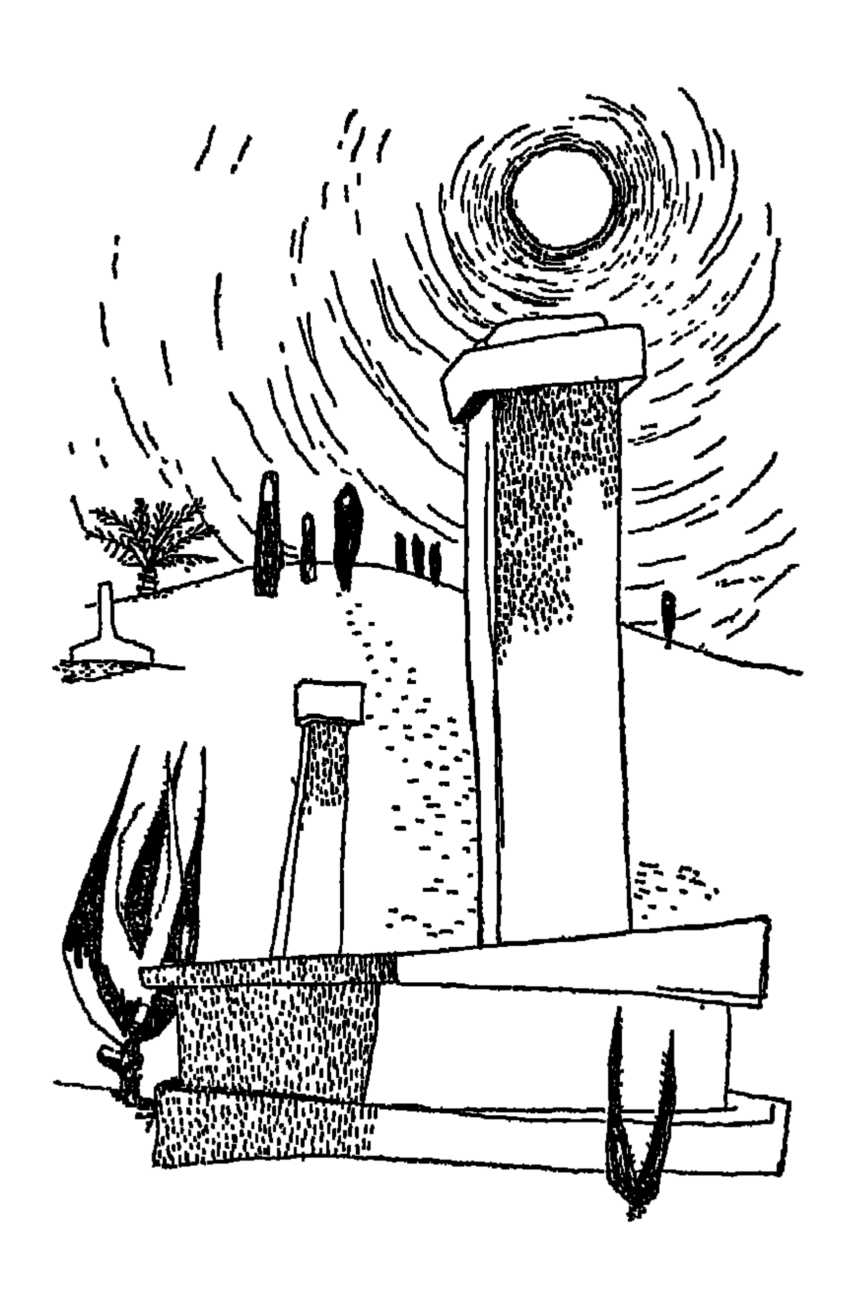
نطوف بها كومض شماعةِ العين

وأن العاقل المبرور من يحيا بلا زاد

ليجمع زاد رحلتهِ

لأن وراء هذي الدار فيما قد رواه الناسْ

شطوطاً طاميات موُجها ديجور



ولولا سيفُ نورٍ شق ظلماها

ومَلاحٌ على مركب

يقول لمن أحثّ الخطو في دهليزها ...

اركب !

ولولا ومض مصباح يلوح لمقلة الملاح

لضل الركب في التيه سنين مئين

أقول لكم بأن الزيف قد يَقتاتُ بالفطنه

وسقْط القول قد يعلو بأجنحة من الترديد

اقول لكم بان الكونَ ما كانا

وما ندري بان سيكون

وأن الليل والصبح قُصَارانا

ورِحلةُ شط دنيانا

وأوجُز كي أحدثكم

عن الموتى ... بقايانا

قضى ! قضى !

وعن ديارنا مضى

لو عاش كان سيدا

يحمى الحمى المُسوَّدا

لكنه انتفضا

ذات مساء مظلم ، وصعّدا

أنفاسهُ وقَضْقَضَا

وانشدخت قارورةٌ طِلَسمُّها ما رُصِدا

وعن سرير أمه وأخته صَعَدا

الى السماء ركَضا

وانتِ يا أمُّ تنوحين سُدى

قضت ! قضت !

وعن ديارنا مضت

من بعد ما تكور النّهد

وَبرْعَمَت عليه وردة ، وسال شهد

وازدحم الوفدُ من الخطّابِ والأحباب في رحابْ . .

دارها ، وحين طار نعيها استدار

خُطّابُها وأهْلُها إلى الجدار

لينجرُوا من الصخورِ مركبا

يَمْخُرُ بالشهد وبالورد وبالصبا

من بعد أن صارت .. هَبا

مُرّبّعات مُستَطيلات من الهبا ...

قضى ! قضى !

وعن ديارنا مضى

من بعد ما اقتنى وشيدا

وخالَ أن يُخلدا

لم تبقَ منهُ غير صورةٍ على الجدارْ

وغُصْنُ صبّارٍ على الحجار

وقال قائل فصيح فوق قبرِه ...

ودَمْعهُ مدْرار

كانَ هِلالاً وَمَضا

ثم قُميراً صعدا

وصار بدراً في السما توسطا

ثم هوى في أُخرَياتِ العمرِ ، في الاسحارْ

الى عروق السماء ركْضا

وانتمْ يا صبية الراحل تبكون سدى

وقفت امامكم بالسوق كي أحيا ، واحييَكسم

لا أبكي ، وأبكيَكمُ

وما غَنَّيْتُ بالموتى لأصنعَ من جماجمهمْ

عمامة وعظ

فلو عاش الذي ماتا

فأين يعيش من وُلدا ؟

أقول لكم بأنَّ الموت مقدورٌ ، وذلك حقْ

ولكن ليس هذا الموت حتفَ الأنف

تعالوا خيروا الاجيال ان تختارَ ما تصنَع

لكيْ تُوسعْ

لمنْ يتبَعْ

فلن تختارَ غير الموت

وهل مَنْ ماتَ لم يتركْ له رسماً على الجدران ؟

وخطاً فوق ديباجه

وذكرى في حنايا قلب

وحفنةَ طينة خِصْبه

على وجهِ الفضاءِ الجدب

وما الانسانُ – إن عاشا وإن ماتا – وما الانسان ؟

٤ - "الكَلِمَاتُ"

وقفت أمامكم بالسوق ، لا ثوبي من الديباج

ولم أتَقَلَّدِ الشاراتِ ، أو ألتَف بالأدراج

ولم تعتمَّ مثل البرج فوق التل جمجمتي

ولم أمسك بكفي صولجانَ الحكم والمقود

وما السوقْ ببيت أبي ولا المعبد

حديثي محضُ ألفاظٍ ، ولا أملِكُ إلاّها

أرقرقها لكم نغماً ، أُجمِلُهَا أفَانينا

أُرَقِّشُها تلاوينا

وللالفاظ سلطانٌ على الانسان

ألم يروُوا لكم في السِّفر ان البدءَ يوماً كان...

جلّ جلالها .. الكلمه

ألم يرووا لكم في السّفر أن الحقّ قوّال

ولكني أقول لكم بأن الحق فعّال

أقول لكم بأن الفعلَ والقولَ جناحانِ عليّان

وأن القلبَ إن غمغم

وأن الخلْقَ إن همْهَم

وإنّ الريحَ إن نقلتْ

فقدْ فعلتْ !! فقدْ فعلتْ !!

كتائبُ، فوق طوقِ الحصرِ، مسْرَجةٌ على أفراس طوّافة

وطوقُ لجامها الكلمات

٥ - «القِـــدّيسُ»

إليّ ، إليّ ، يا غرباءُ ، يا فقراءُ ، يا مرضى

كسيري القلب والأعضاءِ ، قد أنزلتُ مائِدتي

إليّ إليّ

لنَـنْطعَمَ كِسْرَةً من حِكمةِ الأجيالِ مغموسَه

بطيشِ زمانِنا المِراح

نكسّرُ ، ثم نشكرُ قلبَنا الهادي

ليُرسينا على شطّ اليقين ، فقد أضلّ العقْلُ مسرانا

إليّ إليّ

أنا ، طوّفتُ في الأوراقِ سواحاً ، شبا قلمي

حِصاني ، بعد أن حملَتْ بي الأوهامُ والغفله

سنينَ طوالَ ، في بطنِ اللجاجِ وظلمةِ المنطق

وكنتُ إذا أجنَّ الليلُ واستخفى الشجيُّونا

وحنَّ الصدرُ للمرفق

وداعبت الخيالاتُ الخليّينا

ألوذُ بركنيَ العاري ، بجنبِ فتيليَ المرهق

وأبعثُ من قبورِهمُ ؛ عظاماً نخرةً ورؤوسْ

لتجلسَ فوق مائدتي ، تبث حديثها الصياحَ والمهموسْ

وإن مَلّتْ ، وطالَ الصمتُ ، لا تسعى بها أقدامْ

وإن نثرَتْ سهامُ الفجرِ ، تستخفي كما الأوهامْ

وقالت لي : بأن النهر ليس النهر ، والإنسانَ لا الإنسان [1]

---

[1] – هذا البيت وما بعده أباطيل فلسفة افلاطون وماركس وارسطو واصحاب نظرية الحلول والسوفسطائيين وفيثاغورس .

وأن حفيفَ هذا النجم موسيقى

وأن حقيقةَ الدنيا ثوَتْ في كهف

وأن حقيقة الدنيا هي الفَلْسين .. فوق الكف

وأن الله قد خَلقَ الأنامَ ونامْ

وأن الله في مفتاح باب البيت

ولا تَسألْ غريقاً كُبَّ في بحرٍ على وجهه

ليُنفخَ بطنُه عشْباً وأصدافاً وأمواها

كذلكَ كنتْ

وذات صباح

رأيت حقيقة الدنيا

سمعتُ النجمَ والأمواهَ والازهارَ موسيقى

رأيتُ الله في قلبي

لإني حينما استيقظتُ ذات صباح

رميتُ الكتْب للنيران ، ثم فتحْتُ شبّاكي

وفي نفَس الضحى الفواح

خرجت لأنظرَ الماشينَ في الطرقاتِ ، والساعينَ للأرزاق

وفي ظلّ الحدائقِ أبصرتْ عيناي أسراباً من العشاق

وفي لحظهْ

شعرتُ بجسميَ المحموم ينبضُ مثل قلب الشمس

شعرتُ بأنني امتلأتْ شعابُ القلبِ بالحكمه

شعرتُ بانني أصبحتْ قديسا

وأن رسالتي هي أن أقدسكم

٦ - " السّوقُ والسّوقَة "

هنا في السوقِ ، يا أصحابُ ، يحيا الحبُ والتّذْكارْ

وتولدُ في ظلامَ عظامِنا النزعاتُ والأفكارْ

وتمتد الرقابُ .. ترى ، وتومضُ في الزحامِ عيون

وتَعتنِقُ الجفونَ جفون

ونحن وإن غشِينا السوق،وامتزجت روائحنا بترب الأرض

فما التفت عليه ثيابنا طُهرٌ وأقداس

وأعرف بعضهم يُضنيه أن يغشى زحام السوق

ولكنْ هُمْ .. من السوقه !

٧- « مَوتُ الإنْسَانْ »

ألا ما أشرفَ الإنسان حينَ يُحسُ ثِقلَ التاجَ في رأسه

وحينَ يُحسُ أن الشمْسَ في فَوْدَيهِ لؤلؤتان

وحِفْنةُ أنجم نُثرت على تِرْسه

وأنّ عليه ثوبَ المُلكِ سِرْبالا

وأنّ الله أوْرَثه بساطَ الأرض

يَشُمُّ شَذى حفيفِ النسم أميالاً وأميالا

ويَعتَنِقُ الوجودَ بحبٌ مَلاّك لما ملكا

*

الا ما أشرف الإنسان حينَ يَشُمُّ في الإنسان

ريح الودِّ والألفه

ألا ما أشرفَ الإنسانَ حين يرَى بعَيني إلفه الإنسان

ما يخفي من اللهفه

إلى إنسان

ألا ما أتعسَ الإنسانَ حين يموتُ في أعماقه الإنسان

*

ألا ما أجملَ الإنسانَ حين يجوسُ في أرضه

يُقلّبُ جدْبها في الخِصْبِ جذْلانا

وحين يَشُقّ بالمحراث مملكته

أخاديداً ووديانا

٨ - "أُجَافيكُم لأعرفكُم"

أنا شاعر

ولكنْ لي بظهر السوق أصحابٌ أخلاءٌ

وأسمُرُ بينهم بالليـل أُسقيهم ويُسقُوني

تطول بنا أحاديث النـدامى حين يلقوني

على أني سأرجعُ في ظلامِ الليل حين يُفض سامركم

وحـــين يغور نجمُ الشرق في بيت السما الأزرق

إلى بيتي

لأرْقد في سماواتي

وحيداً ... في سماواتي

وأحلم بالرجوع اليكم طلقاً وممتلئا

بأنغامي وأبياتي

*

أجَافِيكم لأعرِفــكم

العائد

طفلنا الأول قد عاد إلينا

بعد ان تاه عن البيت سنينا

جاء خجلانَ .. حيياً .. وحزينا

فتلمسنا بكف نبضَت فيها عروق الرعشةِ الأولى، الجبينا

وتعرفنا عليه

وبكى لما بكينا في يديه

وارتمى بين ذراعينا ، وأغفى مطمئناً ، وغفونا

وتكسَّرْنا على عينيه ظلا

وتهدجنا على مَبْسمِهِ المزموم ِأنفاساً نَدِيّاتٍ .. وطَلّا
واستدرنا حولهُ
شفقاً أسمر من حول هلال نائم في قلبنا

* * *

كان طفلاً عندما فرّ عن البيت وولّى
من سنينٍ عشرةٍ ذات مساء ... كان طفلا
وافتقدناهُ ، وناديناهُ في أحلامنا
وانتظرنا خطوه الخضرّ في كل ربيع
وشكوْنا جُرحَهُ خلاّننا
وتسلينا بكأس مرة من يأسنا
وتناسيناه إلا رعدة تجتاحنا أول أيام الربيع
عندما نشعر بالشوق الى طفل وديع



عندما تلقي بنا وحدتنا في وهمنا

عندما يعصر قلبينا ضنىً مُرٌّ ، وجوعٌ للفرح

لاثبٌ يسأل عن فرحتنا

***

نَعُمَتْ بين الليالي ليلة عاد إلينا في دجاها

وتعرفنا عليه

وبكى لما بكينا ذلنا عشر سنين ، في يديه

ذلنا عشر سنين ، شيبت منا الجباها

جعلت منا عبيداً للأسى

وهو ما زال صغيراً ، وإلـّها

***

نحن لم ننسَ ، ولكن طويل الجرح يُغري بالتناسي

عندما يخلع صيفٌ ثوبهُ بعد شتاء مكفهر الوجه قاسِ

وعلى عَقبَيْهما يأتي خريفٌ مجدبٌ دون نداوهْ

وتعرّي كفهُ العالم من كل بهاء وحلاوه

عندما ينقلبُ التذكار عبثاً وعذاباً وقصورا

وبكاءً أخرسَ النبرة وحشياً ضريرا

عندما يلجئنا الحزن إلى بطن جدار

ليُسفّى فوقنا مثل ترابِ الموتِ زهرهْ

زهرةٌ ميتةٌ طال عليها الاحتضار

لا نرى إلا التناسي مهرباً من موتنا

موتنا القادم في ضوء النهار

قل لنا يا أيها العائد : من أي طريق جئتنا

أي كفّ مسّحتك

وعلى بحر الليالي حملتك

نحونا

بعد أن شِلنَاكَ حزناً هادئاً في جفننا

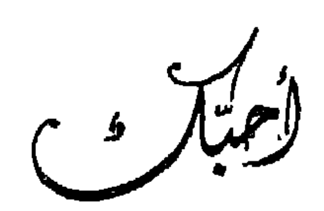
وحملناك أسىً في صوتنا

وَمَشَيْنا بِك في أعصَابِنا خطواً ثقيلا

وبكيْناك — بلا دمع — طويلا

ويئسنا منك يأساً كبريائياً نبيلا

قل لنا يا أيها العائد في أي سحابة
َخزَنتكَ النعمةُ الكبرى لنا
لتروّي مَغْرِبَ العمر لشَيخَيْكَ .. هنا
قل لنا يا أيها العائدُ هل انت مقيم بيننا
واتــّئد يا طِفلنَا الأوحَدَ
فالدنيا عقيم وعجوز
لم يعد غيرك في الدنيا .. لنا



لا ، لا تنطـق الكلمـــه

دعهَا بجوفِ الصدر منبهمه

دعها مغمغمــةً على الحلق

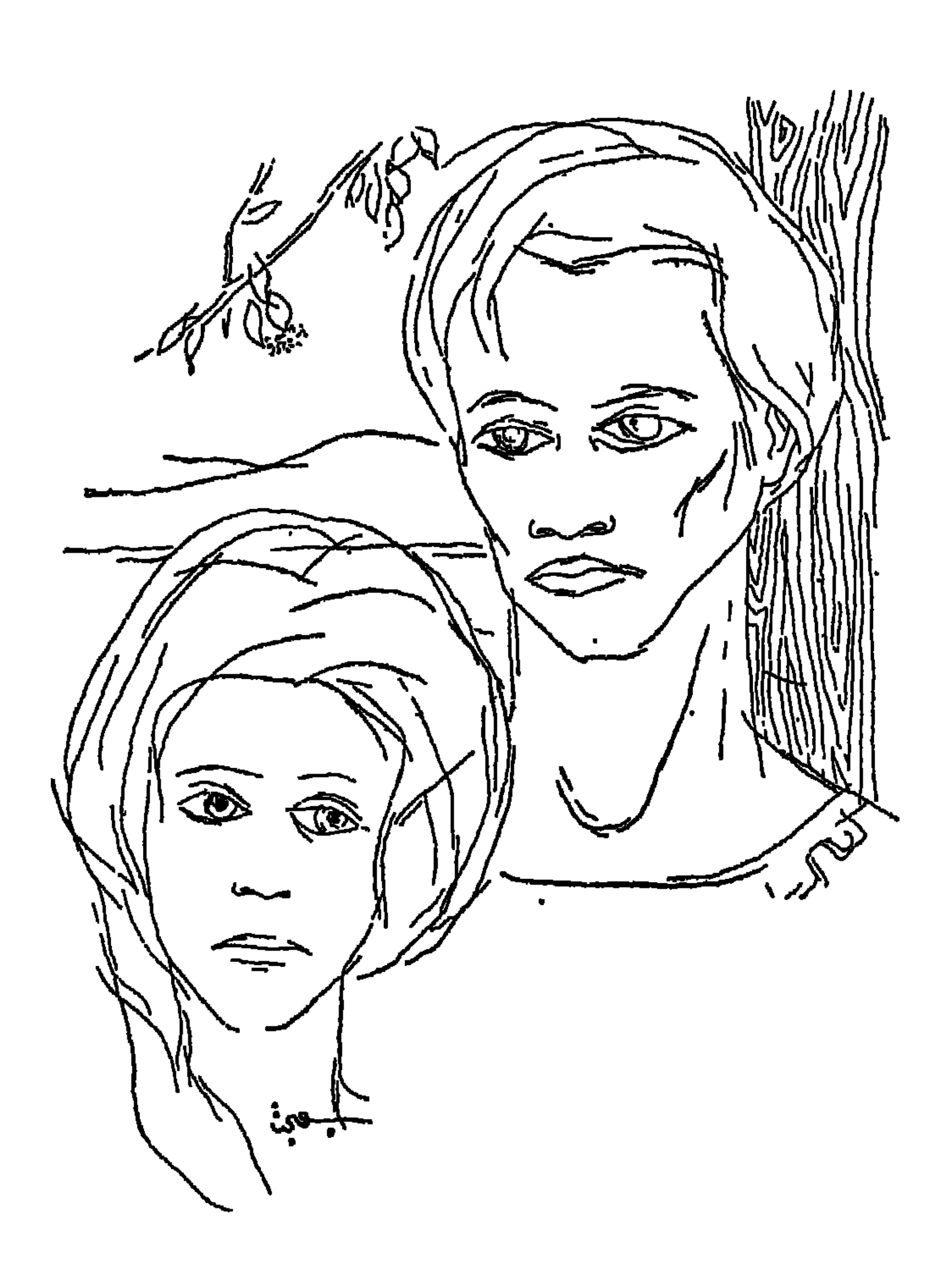
دعها ممزقـــةً على الشدق

دعها مقطعة الأوصال .. مرميه

لا تجمع الكلمه

دعها رمــــاديه

فاللون في الكلمات ضيعنا



دعها غماميه

فالخصبُ شرَّدنا وَجوَّعَنَا

دعها سَدِيميه

فالشكل في الكلمات توهنا

دعها ترابيه

لا تُلق نبض الروح في كلمه

كم مرةٍ جاشَتْ بيَ الكلمه

وبَدَتْ لِعَيْني ، وهي تسْتأني

فوق الشفاهِ رقيقــةً .. تُحْني

جيداً وتستدني

خدَّينِ مَضْمُومَيْنِ في بسمه

وتكادُ تغلبـني على قصْدي

لأ ُقولَ ما أعني

وأفكَّ طِلـَّسْمي ، وأجمعَ منْ

حلقي الشباكِ لِتُفْلِتَ الكلمه

وأعودُ أذكرُ مرةً سَلَفتْ

عامين من بأسائها اغترفتْ

روحي الكتومُ لأنها اعترَفتْ

وَسقطتُ تحتَ سنابكِ الكلمه

لا ، لا تنطق الكلمه

حتى ولو مَاجَت بوجهِ النيل

أنسامُ ليلة صيف

حتى ولو رَفَّتْ على أرْغُول

مخْرُورةً .. نغمه

حتى ولو في الرَّمْلِ خط الإلف

حَرْفَيْنِ مَلْويّيْن

حتى ولو طالعت في عَيْنَيْه .. في العُمْقَيْن

قَسَماتِك المحمومة الشفتَيْن

حتى ولو جاشتْ بك الكلمه

وتَسَاءلتْ شَفَتَاكَ .. ما كلمه ؟

تُهْدَى لخدٍّ باسمٍ .. نِعمْه

وتَنَام في كفين مَمْدُودين

وتطوُف أنفاساً على نَهْدَيْن

ما أجمَــــلَ الكلمه .. !



ها قد نسيت حياتكَ الأولى

والجرحَ والذِّله

ها قد جمَعْتَ الحرفَ جنب الحرف والحرفين

لمَعَتْ بشيء دافيءٍ مقلـه

وتمدّدَ الاعياءُ في الشفتين

وعدا جسورٌ كان مَغلولاً

وسقطتَ تحت سنابِكِ الكلمه

الظِلّ والصَّليب

– ١ –

هذا زمان السأم
نفخ الأراجيل سأم
دبيب فخذ امرأة ما بين إليتي رجلْ ...
سـأم
لا عمق للألم
لانه كالزيت فوق صفحةِ السأم
لا طعمَ للندم
لأنهم لا يحملون الوزر الا لحظةً ، ويهبط السأم



يغسلهم من رأسهم إلى القدم

طهارةً بيضاءَ تنبتُ القبورُ في مغاور الندم

نَدفن فيها جثث الأفكارِ والأحزانِ ، من ترابها ...

يقومُ هيكلُ الإنسان

انسان هذا العصر والأوان

وانا رجعتُ من بحار الفكر دون فكرْ

قابلني الفكر ، ولكنيّ رجعت دون فكر

أنا رجعت من بحار الموت دونَ موت

حين أتاني الموت ، لم يجد لدي ما يُميتُهُ ، وعدت دون موت

أنا الذي أحيا بلا أبعادْ

أنا الذي أحيا بلا آماد

أنا الذي أحيا بلا أمجادْ

أنا الذي أحيا بلا ظل ... بلا صليب

الظلُّ لصٌّ يسرق السعادهْ

ومن يَعِشْ بظله يمشي إلى الصليبِ ، في نهاية الطريقْ

يَصلبُهُ حُزْنه ، تُسمل عيناه بلا بريق

يا شجرَ الصفصاف : إنّ ألف غصنٍ من غصونك الكثيفه

تنبت في الصحراء ، لو سكبتُ دمعتين

تصلبني يا شجر الصفصافِ لو فكرتْ

تصلبني يا شجر الصفصاف لو ذكرتْ

تصلبني يا شجر الصفصاف لو حملتُ ظلي فوق كِتفي ، وانطلقت

وانكسرت أو انتصرت »

إنسان هذا العصر سيدُ الحياه .

لأنه يعيشها سأمْ ...

يزني بها سأم ...

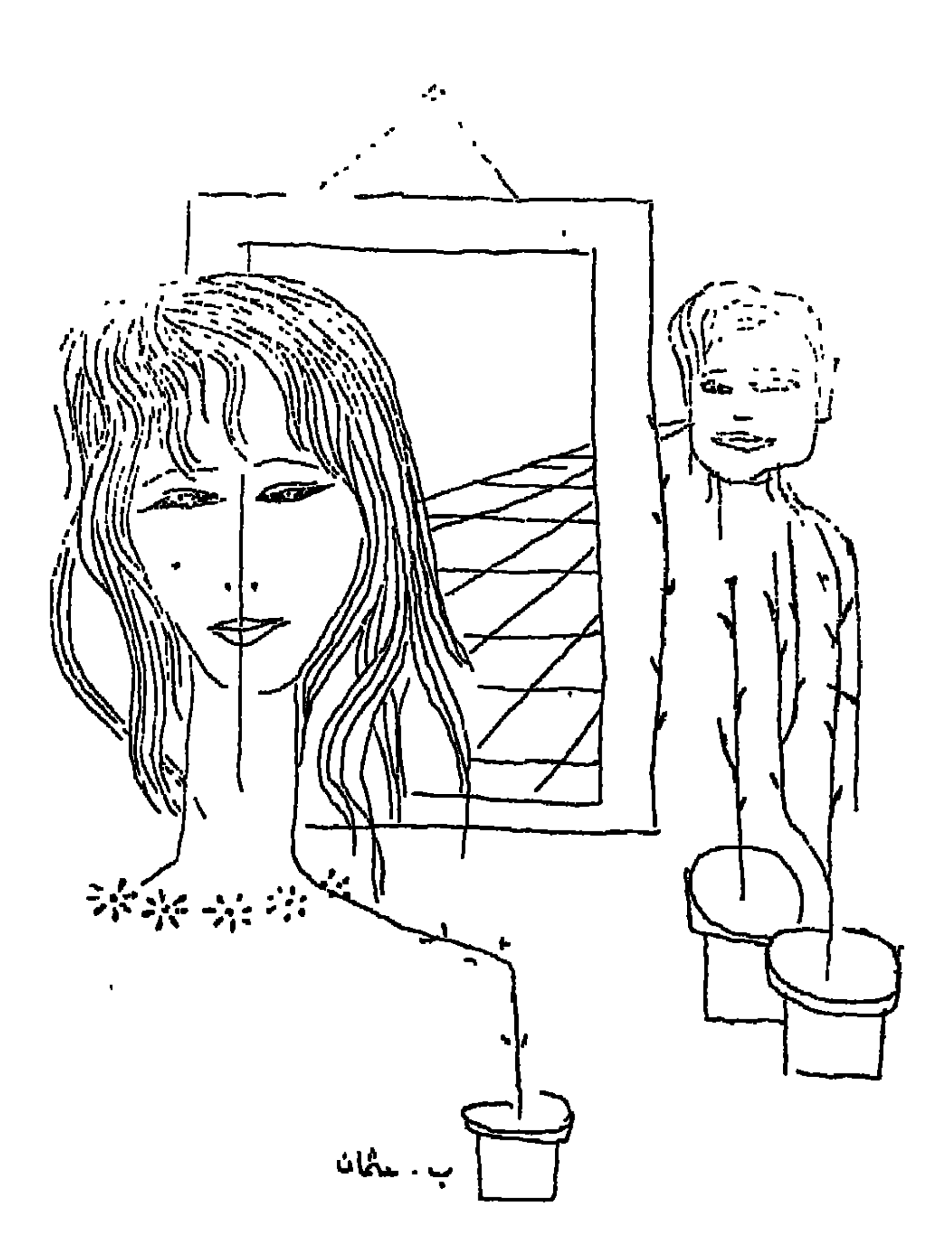
يموتها سأم ...

– ٢ –

قَلْتُمْ لي
لا تَدْسُسْ أنفَكَ فيما يعني جارَك
لكني أسألكم أن تعطوني أنفي
وجهي في مرآتي مجدوعُ الأنف

– ٣

مَلاّحنا ينتف شعرَ الذقن في جنونْ
يدعو إله النقمة المجنون أن يلينَ قلبُه ، ولا يلين
« ينشُدُه أبناءه وأهله الأدنين ، والبيتَ الذي ابتناه ، والوسادة
التي لوى عليها فخـــذ زوجِه ، أولدها محمداً وأحمـــداً


ب . عثمان

وسيداً وخضرةَ البكرَ التي لم يفترع حجابَها انسٌ ولا

شيطانْ »

« يدعو إلـهَ النعمة الأمين أن يرعاهُ ، حتى يقضيَ الصلاة ،

حتى يؤتيَ الزكاة ، حتى ينحَر القُربان ، حتى يبتني بِحُرِّ

مالهِ كنيسةً ومسجداً وخان »

للفقراء التاعسين من صعاليك الزمان

ملاّحنا يلوي أصابعاً خطاطيف على المجدافِ والسُّكان

ملاحنا هوى الى قاع السفين واستكان

وجاشَ بالبكا بلا دمعٍ .. بلا لسان

ملاّحنا مات قبيل الموت ، حين ودّع الأصحابَ ،

والاحبابَ والزمانَ والمكانْ

عادت الى قمقمها حياته ، وانكمشت أعضاؤه ، ومالْ

ومدّ جسمه على خطِ الزوال

يا شيخنا الملاحَ ، قلبُكَ الجريء كان ثابتاً ، فماله استطير

اشار بالأصابع الملوِّية الاعناق نحو المشرق البعيد ...

ثم قال :

ـ هذي جبالُ الملح والقصدير

فكل مركبٍ تجيئها تدور

تحطمها الصخور

وانكبتا .. ندنو من المحظور ، لَنْ يُفلِتَنَا المحظور

ـ هذي إذن جبال الملح والقصدير

وافرحا .. نعيش في مشارف المحظور

نموت بعد أن نذوق لحظة الرعب المرير والتوقع المريرْ

وبعد آلاف الليالي من زماننا الضرير

مضتْ ثقيلاتِ الخطى على عصا التدبر البصير

ملاّحنا أسلمَ سُوْرَ الروحِ قبل أن نلامِسَ الجبلْ
وطار قلبُه من الوجلْ
كان سليم الجسم ، دون جرحٍ ، دون خدشٍ ، دون دم
حين هوت حبالنا بجسمه الضئيل نحو القاع
ولم يعش لينتصر
ولم يعش لينهزم
ملاحُ هذا العصر سيد البحار
لانه يعيشُ دون أن يريق نقطة من دم
لأنه يموت قبل أن يصارعَ التيار

— ٤ —

هذا زَمَنُ الحق الضائع

لا يَعرِفُ فيه مقتولٌ مَن قاتِلُهُ ، ومتى قتله

ورؤوس الناس على جثث الحيوانات

ورؤوسُ الحيوانات على جثث الناس

فتحسس رأسك !

فتحسس رأسك !

أبو تمام

« في مهرجان أبي تمام »

الصوتُ الصارخ في عمورّيه

لم يذهبْ في البريه

سيفُ البغداديّ الثائر

شقّ الصحراءَ إليه .. لبّاه

حين دعت أختٌ عربيه

وامعتصماه

لكنّ الصوت الصارخ في طبريه

لبّاه مؤتمران

لكنّ الصوت الصارخ في وهران

لبتهُ الاحزان

يا سيف المعتصم الثائر

إخلع غمدَ سحابكَ ، وانزلْ في قلب الظلمه

شقّ العتمه

خلّصْنا من وقرِ الأحزان

واضرب يُمنى في طبريه

واضربْ يُسرى في وهران

في موعد تذكارك يا جدّ

يلقى الأبناءُ الأبناء

يتعاطون أفاويق الانباء

والسيف المغمد في صدر الأخت العربيه

ما زال يشق النهدين

وأبو تمامِ الجدُّ حزينٌ لا يترنم
قد قال لنا ما لم نفهم
والسيفُ الصادقُ في الغمدِ طويناه
وقنعنا بالكتب المرويه

يومُكَ لا يسقينا فرحا
أو يسقيكَ رضا
التذكارُ ثقيلٌ حين حملناه
ندَما
والحسرةُ في وجهك بعد الأعوام .. الأعوام ..
صارت ألما
ولقاءُ الجدّ أبي تمام

عيد للأحزانِ المورقةِ الأكمام

عيد تعِلاتٍ وكلام

عيد دما

تطلب سقياها فتجاب ظمَا ...

يلغط اللاغطون

ألقيت في مهرجان أبي تمام الذي
اقيم بدمشق في سبتمبر ١٩٦٠

خافقي نحوها استطير فلبى   وثب الشوق بالجناحين وثبا

كيف لا يورق النداء بقلبي   صبوة حلوة ونزعاً مُلبّى

كيف لا أشرع الجناح اليها   طائر الشوق مستهاماً محبا

وأغني القصيد في مسمعيها   جاهداً أن يكون صوتي عذبا

يا جناحي رفرف على كل مرقى   يا لهاتي اصدحي على كل مربا

ها هنا قلب أمتي ، كل فجّ   حين أرنو إليه ألقى العربا

أمة فجرت من النور دربا   من دروب الهدى وبالسيف دربا
أطلعت فجر صدقها، والليالي   داكنات، والدهر أقتم ريبا
ثم مرت سنون بأساء سود   مزقتنا على المنازع غربا
وادلهم الظلام، لا الكتب أنبت   عن مقاديرنا، ولا السيف أنبى
وفقدنا بعبث الصراطين لا العلم   حملنا ولا الحسام القضبا
واستعز الخصيم، واستنفر البغي، ومات الرجاء قلباً فقلبا
غير تلك النفوس يرهقها البغي   وتعلو على الهوان وتأبى
غير تلك الرؤوس ترفع فوق الذل   هاماتها لتلقى الربا
غير أن الشتات كان يفل العزم، يلقي في الصدر يأساً ورعبا
وتظل الدماء تسأل عن ثاراتها نبتها، وتدعو الشعبا
لنداء الدماء جمّع شملينا وشق الطريق للعرب لحبا
واستفقنا، فنحن نصنع مجداً   حاضراً مثل تالد، بل أربى

مجد فعل ، ومجد قول كفاء   للزمان الذي يصاعـــد وثبا

يلغط اللاغطون أ"نا جفونا   مسلكاً جازه حبيب مخبّـا
عاش فيه صباه يسقي ويُسقى   وبأفيائـه استقام وشبـــا
وشدا في ظهيرة العمر للشام   والرقمتـــين حباً وعتبـــا
وطواه التراب ، والشيب لما   يلتمع ، والشباب ما زال رطبا
يلغط اللاغطون آنا جفونا   راية رفرفت قرونا وحقبـا
راية يرفع ابن حجر لواها   ووراء الـــلواء سربا فسربا
يرقِلُ الشاعرون ، هذا ابن هاني   وعشير الندمان يمشون جذبا
أثقلت خطوهم مدامة خما   رلبيـق المزاج يُحسـن صبـا
ووراء الخليع يمشي عنوداً   شامخـاً معرضاً كريح نكبا
جبهة صلدة وعين غضبى   لو أطاع الهوى لخلّى الركبا
أحمد بن الحسين مفخرة الشعر وإن يكره القريضَ ويأبى

رام ملك التراب -- سامحه الله - وملك الكلام أنفس كسبا

هو أشقى درباً وأبعد قربا ثم أسمى فلكاً وأبهج عقبى

وعيون التاريخ تقتحم الدهر اقتحامـاً وليس تطرف هـدبا

غير ملك تولت الشعر كفاه فـأولاه شاعر مـــا أربى

جوهر اللفظ دونه عرض المال وهذا الياقوت والدر حصبا

وبذيل الرهط المخب ضرير مثقل واهن جبينـاً وصلبـــا

شاعر لا يرى وفي عمق عينيه شعاع يصب في النفس صبا

فينير الملتف من دغل الروح ويجــلو من تيهها ما استخبا

هؤلاء الرهط الكريم جدودي

وتراثي ، وصحبتي ، والأحبا

كلهم كان عصره في لغاه وأحاسيسه ، خيـالاً ولبـا

خلدوا والزمان ينداح بعداً واتساعاً ، وهم على الدهر أصبى

وثوت في الثرى ألوف ألوفٍ اخذوا فضلهم سليباً ونهبى

قلدوهم ، هل للمقلـّد فضل مثل فضل الجديد إذ شق دربا

نحن نبني جنب القديم جديداً شامخاً مثله رفيعاً رحبـــا

والألى ينسجون من جثث الموتى رؤوساً منخوبة العين جدبا

يملأون الدنيا ضجيجاً لجبا كان خيراً لو حاولوا الخلق صعبا

ثلاث صور من غزة

– ١ –

لم يك في عيونه وصوته ألمْ

لأنه أحسّه سنهْ

ولاكه ... استنشقه سنهْ

وشاله في قلبه سنه

وطالت السنون أزمنه

فأصبحت آلامه حقدا

بل أملا ينتظر الغدا

— ٢ —

يا أيها الصغار

عيونكم تحرقني بنار

تسألني أعماقها عن مطلع النهار

عن عودةٍ الى الديار

اقول ... يا صغار

لننتظر غدا

لو ضاع منا الغد يا صغار ضاع عمرنا سدى

— ٣ —

كانت له أرض وزيتونه

وكرمة وساحة ودار

وعندما أوفت به سفائن العمر إلى شواطىء السكينه

وخطّ قبره على ذرى التلال

انطلقت كتائب التتار

تذوده عن أرضه الحزينه

لكنه خلف سياج الشوك والصبار ظل واقفاً .. بلا ملال

يرفض أن يموت قبل يوم ثار

يا حُلم يوم الثار

من شعر الصبا

عِتاب

هنا كانت الدنيا وباحت لنا المنى

بأسرارها ، واخضل من مائها الوجد

هنا كم رعينا الحسن بالنظرة التي يلوح ندياً في محاجرها الصلد

حنانيك يا نفسي ، فأنت ألوفة هي دمعة ، هذي الرسوم لنا تبدو

تهاوى بهـــا النجوى كطير ذبيحة

عن العش ذيدت ، لا ترف ولا تشدو

ويمشي بها الحب الكسير مجرحاً وينزف منه الإثم واليأس والحقد

ويجثو على أطلالها الشك ناعباً ملاحن في أجوافها يصرخ الرعد

تحوّل عنها الماء، فالظل لافح وغام شروق الشمس، فالصبح مربد

فما نبتة إلا وتحكي خطيئة ولا غصن إلا ما جفا عوده الورد

وما بسمة إلا وروحي تقيئها وما خطوة إلا ودربي لها ضد

***

ذكرتك أصداء الغرام الذي مضى وحنت إليك النفس والليل مسود

بنفسيَ ذاك الجسم ريان ناضراً بروحيَ ذاك الجيد والخصر والنهد

أقلّ حنيناً أيهـا القلب إنني رأيتك تصفي الود من لا لها ود

ومن إن دنت تنأى عن النفس نفسها

ومن إن نأت لم يدّكر عهدها العهـد

تنازعني نفسي اليها ومقلتي وقلبي، ولكن ليس من هجرها بد

وعدت، غداً أنسى، لي الويل من غدي

إذا كان مثل الأمس، وانحطم الوعد

مضى ما مضى، كفنته في شبيبتي   وفي قلبي الملتاعَ كان له لحد

وروحت نفسي بالأماني تعلة   وضاع مع الأحلام ما ليس يرتد

ليالٍ مضيئات يظلل حسنها   ضباب من الذكرى به وجهها يبدو

* * *

طريقي طويل ظلّله المجد والعلا   وما أنت يابنت التراب، وما المجد

١٩٤٩/١/٤

«من شعر الصبا»

حصاد الذكريات

سلام على البعد يا معبدي ويا منيـــة الشارد المبعد

وحبي لجدرانك الباهتــات ووجدي لمصبــاحك المسهد

هنا سنوات صبــاي القديم تولول في مـــوكب أسود

وآمـــاليَ الشرد الصاديات يحزن السراب الى الفدفـد

طريق وعى خطواتي القصار الى المعبد الشامخ المفـــرد

طريق تحدث أحجـــاره بضيعة أمس ووهم غـــدي

مصابيحه حومت حولهـــا فراشـــات آمـــالي الشرد

وفي كل ركن دعاء ذبيـــح   ووهم أسير وجرح نـــدي

* * *

وعدت اليك ، وعادت سنون الشقاء   إلى الخـــاطر المجهد

يذكرني ذلتي وانكسار الرجـولة   في بابك الموصـــد

يُجَرِّرْنَ أشلاء مـــا صنته   .. كرامة نفسي وعز يدي

ورمت السلـــو فأدركته   بوهمي وأخطأه مقصـــدي

فطامنت غلواء روحي الكبير   وعـدت إليك ذليل اليد

لألقي السلام على معبـــدي   وأمنية الشارد المبعـــد

١٩٤٨/١٠/١٥

قلق

رباهُ ، ما ذي الليلة البارده
نجومها آفلة .. خامـــده
وريحها معولة شارده
أسير في طريـق
قفر من الرفيق
ألوك لحنَ لوعةٍ
يمزق العـروق
وصحوتي غارقةٌ

في مهمهٍ سحيق

قنينة مهشمه
ولقمة مسممه
وخطوة محطمه
وصخرة ميممه
تلوح خلف الأكمه
مشنقة مدمّمه

١٩٥١/١/١٥

فهرس

الغـــلاف للفنان اسماعيل شموط
الرسوم الداخلية للفنان « بهجت »

٦١ — ٥ — ٢٦٣



((المختار))

● «ألا ليتني أستطيع أن أجسم أفكاري ، وأعبر عما يجول في نفسي ، ألا ليتني أقوى على إلباس أفكاري ثوب التعبير ، وبهذا التي بالروح والعقل والانفعالات والإحساسات ، قويها وضعيفها ، وكل ما تشتهيه ، وكل ما أسعى إليه أو أحلم وأعرفه وأشعر به ، بالتفصيل . ألا ليتني أستطيع أن ألقي بهذا كله في كلمة واحدة ، كلمة تكون هي البرق ، أو اللهب ... لكنني أحيا وأموت ، دون أن أدع سري ، لأني فكر قد خلا من كل صوت ، مثله مثل سيف ظل في غمده » .

بايرون ، تشايلد هارولد ، النشيد الثالث

● «إن ما يحنقني هو عجزي عن إخراج ما في نفسي كما تصورته لأول مرة ، إن الفكرة لتكون في نفسي ، وتنمو وتمتد ، وتتخذ شكلا متقنا في رأسي ، مثل التي لا تتفق أبدا في بناء الأشخاص في مخيلتي ، وترديد ما يقولون من كلام وما يحاورون به من حوار ، ولا يبقى إلا أن أمسك القلم لأضع على الورق كل هذه الحياة الزاخرة الناضجة ، فإذا - وا أسفاه - شيء بارد باهت كالجثمان الهامد هو الذي يخرج » .

توفيق الحكيم ، زهرة العمر

● «كان ما أحاوله في هذا الديوان كبيرا كالشعر .. كالفن .. كالحياة ، ولكنه حين خرج إلى الوجود ، لم يكن إلا قصائد تنبئ عن مجهود لشاعر عربي ، في الثلاثين من عمره ، كتبها وهو يلهث ، في الليل ، خوفا من أن يسفر وجه النهار ، عن شر إماته البغيض » .

صلاح عبد الصبور

منشورات : المكتب التجاري - بيروت